العلاقات النصية في سياق المحاورات في سورة هود (دراسة وظيفية أسلوبية)

إعداد

د. زينه بنت حسين بن عوضه بن سيف
أستاذ اللسانيات التطبيقية الحديثة المساعد، بقسم اللغة العربية
كلية العلوم والآداب بجامعة نجران- المملكة العربية السعودية

المستلخص:

هدفت الدراسة إلى الكشف عن العلاقات النصية التي تشكل منها نص سورة هود (عليه السلام) وبيان الدور الوظيفي واللغوي الذي تقوم به هذه العناصر، وقد تم تناول هذه العلاقات بشكل أسلوبي، ينصب على البنية اللغوية وصولاً إلى الكشف عن انفعالات طرفي الحوار ومشاعرها، واستحضاراً لها بمعرفة طريقتها في الصياغة والتعبير والاختيار المؤدي للغرض الذي يريده الطرف الآخر، وقد انطلق هذا البحث من نحو النص، ويعد النص اللغوي محور اهتمام اللسانيات الحديثة، والنص اللغوي يتكون عبر التحام الجمل واتساقها نسيجاً وانتظاماً، وترابطاً عضوياً وموضوعياً، ومن ثم يلاحظ أنه عبر امتداد مساحة النص يتشكل ما يسمى بالفقرات والمقاطع والمتواليات التي تؤلف بدورها في الأخير ما يسمى بالنص، ووظيفته الأساسية والبارزة التواصل والإبلاغ والتداول، أي أنه يتكون من عدة جمل شريطة أن تكون هذه الجمل مترابطة ومتلاحمة عبر روابط شكلية وموضوعية، وهذا الترابط والتلاحم يولد بدوره نصاً يقوم بوظيفة مهمة هي التواصل والإبلاغ والتداول.

وقد كانت الدراسات النحوية الصورية السابقة أرضية صلبة، انطلقت منها الاتجاهات النصية الحديثة، اقتصرت على الجملة ومتواليات الجمل كونها أكبر وحدة لسانية؛ ونظراً لقصور نحو الجملة على تفسير بعض الظواهر اللغوية بصورة دقيقة، نادى النصيون إلى ضرورة تجاوز الدراسات اللغوية مستوى الجملة إلى مستوى أوسع وأشمل من الجملة، إلى فضاء يهتم بقضايا النص ويربط بين اللغة والموقف الاجتماعي. وقد اعتمد البحث منهج علم لغة النص، إذ يُعدُّ هذا المنهج أحدث المناهج اللغوية الحديثة، ويهدف إلى الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص، للوصول إلى ماهية النص وعوامل تشكله، وقد تناول الباحث هذا الموضوع من خلال بعض العلاقات المكونة للنص التي حددها علماء الدراسات النصية.

وقد أشارت الخاتمة إلى مجموعة من النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذه الدراسة، ومن أهم هذه النتائج:

ـ تمثل العلاقات النصية دعامة أساسية من دعائم الدرس النصي، إذ يتصل بالتماسك النصي داخل النص، ويرتبط بالعلاقات والروابط السطحية للنص، وتحقيق الترابط بين أجزاء النص من بدايته إلى آخره دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة.

ـ إن الترابط من خلال هذه العلاقات هو الذي يخلق بنية النص ويحقق استمراريته.

ـ تحمل العلاقات النصية وظائف دلالية وأبعاد نفسية تكشف عنها في سياق النص. واستناداً للنتائج أوصت الباحثة بالآتي:

ـ على محلل النص أن يحدد الروابط اللفظية والمعنوية على تعمل على تماسك النص وانسجامه.

ـ أن يكتشف الوظائف الدلالية التي تؤديها هذه العناصر في سياق النص.

ـ ضرورة إدراج اللسانيات النصية في الدراسات الجامعية، وتعليم الطلاب الاشتغال على آليات هذه المناهج الحديثة.

الكلمات المفتاحية: (التماسك ـ الترابط ـ الوظائف الدلالية).

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

انطلق نحو النص من فكرة أن النص هو الموضوع الأساس لتحليل الخطاب، ويجب تجاوز حدود الجملة إلى فضاء النص، وترجع نشأة نحو النص إلى بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، إذ قدم (هاريس) في عام (١٩٥٢م) منهجاً لتحليل الخطاب، استخدم فيه إجراءات اللسانيات الوصفية، بهدف اكتشاف بنية النص، فرأى أنه لا بد من تجاوز مشكلتين وقعت فيهما الدراسات اللغوية الوصفية والسلوكية معاً، هما(١):

الأولى: قصر الدراسة على الجمل والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة.

الثانية: الفصل بين اللغة والموقف الاجتماعي.

وبذلك يعد (هاريس) أول من أسس علم اللغة النصي الحديث، بعد ذلك بدأ بعض اللسانيين ينتبهون إلى القضايا التي أشار إليها (هاريس)، وقد عُنيت لسانيات النص بدراسة النص، واتخذت منه مادة لأبحاثها، يمكنها كبنية كلية أن تستوعب كل الظواهر اللغوية وغير اللغوية التي تسهم في

أسلوبية رد المتلقي (الطرف الآخر) في التواصل الحواري في السورة ، كون البنى النصية في سياقات هذه السورة تحمل دلالات عميقة، تتمثل في السياقات المتبادلة بين أطراف الحوار الذين شملهم النص، ويتم الكشف عن هذه الدلالات عن طريق مجموعة من العلاقات التي عملت على الربط بين أجزاء النص في الحوار.

حدود الدراسة: عملية التواصل، فأولى النصيون النص عناية بالغة وإبراز مميزاته وتماسكه واتساقه، وحددوا العلاقات والروابط والكيفيات التي ينسجم بها النص؛ حتى أصبح نحو النص أو لسانيات النص أو علم النص هي الدراسة اللغوية لبنية النص أو الخطاب.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

حُددت مشكلة الدراسة في الكشف عن الوظائف الأسلوبية واللغوية التي أبرزتها العلاقات النصية، التي تشكل منها النص الحواري في سورة هود، من خلال تناول هذه العلاقات وتحليل سياقها اللغوي التي وردت فيه، وقد انبثق عن هذه المشكلة التساؤلات العلمية الآتية:

الأول: ما الدور الوظيفي الذي تؤديه العلاقات النصية داخل النص؟

الثاني: ما الأثر الدلالي والأسلوبي الذي كشفت عنه هذه العلاقات في سياق الحوارات القرآنية التي رودت في سورة هود؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى مجموعة من الأهداف، يمكن إجمالها في الآتي:

١ ــ الكشف عن العلاقات النصية التي تشكل منها الحوار القرآني في سورة هود (عليه السلام).

٢ ــ بيان الدور الوظيفي والأسلوبي الذي تقوم به العلاقات النصية داخل النص.

٣ ـ بيان أثر العلاقات النصية في سياق الحوار القرآني في سورة هود وكيف برز السياق النفسي عند طرفي الحوار.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تحاول الكشف عن النظام اللغوي الذي حقق النصية للسياق الحواري في سورة هود، وأيضاً محاولة بحث في

(١) ينظر: جميل عبد المجيد، ١٩٩٨، ٦٥.

تكمن حدود الدراسة في محورين: الأول: نظري، يتمثل في التنظير للعلاقات النصية في نحو النص، الثاني: تطبيقي، يتمثل في تتبع الأثر الوظيفي والدلالي للعلاقات النصية التي تكون منها السياق القصصي في سورة هود.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة منهج علم لغة النص، إذ يُعدُّ هذا المنهج أحدث المناهج اللغوية الحديثة، ويهدف إلى الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص، للوصول إلى ماهية النص وعوامل تشكله.

إن علم لغة النص يضم في إطاره العديد من الإجراءات المنهجية الأخرى، إذ يستفيد من إجراءات علم اللغة الوصفي بمستوياته المختلفة: الصوتية والمعجمية والدلالية، ويستفيد أيضاً من إجراءات نظرية السياق وتحليل الخطاب، ونظريات التلقي، حيث تعمل هذه الإجراءات معاً وتسير في اتجاه واحد بشكل متوازٍ أحياناً ومتداخل أحياناً أخرى، لتصل في تحليلها للنصوص إلى تحديد هوية النص تحديداً شاملاً(١).

كانت الدراسات النحوية الصورية السابقة أرضية صلبة، انطلقت منها الاتجاهات النصية الحديثة، اقتصرت على الجملة ومتواليات الجمل؛ كونها أكبر وحدة لسانية؛ ونظرًا لقصور نحو الجملة عن تفسير بعض الظواهر اللغوية بصورة دقيقة، نادى النصيون إلى ضرورة تجاوز الدراسات اللغوية مستوى الجملة إلى مستوى أوسع وأشمل من الجملة، إلى فضاء يهتم بقضايا النص ويربط بين اللغة والموقف الاجتماعي.

الدراسات السابقة التي أفادت منها البحث:

من أبرز الدراسات السابقة التي أفاد منها الدراسة، دراسة شعيب محمودي، بعنوان (بنية النص في سورة الكهف، مقاربة نصية للاتساق والسياق)، تناول الباحث في هذه الدراسة مظاهر الاتساق والانسجام النصي في سورة الكهف، ودراسة فوزي سهيل نزال، بعنوان (لغة الحوار في القرآن الكريم) ودراسة صبحي إبراهيم الفقي، بعنوان (علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية).

هيكل الدراسة:

تم تقسيم هذا الدراسة إلى مقدمة، يليها مبحثان وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع التي استفاد منها الباحث.

تضمن المبحث الأول: الإطار النظري، وتم تقسيمه إلى قسمين: القسم الأول: مفهوم نحو النص في اللسانيات النصية. القسم الثاني: العلاقات النصية، ويشتمل على:

ـ علاقة الوصل اللفظي.
ـ علاقة الإحالة.
ـ علاقة الحذف.
ـ علاقة التكرار.
ـ علاقة الإعلامية.
ـ علاقة البيان والتفسير.

وتناول المبحث الثاني: (الإطار التطبيقي) تحليل العلاقات النصية، وظيفياً وأسلوبياً .

المبحث الأول: الإطار النظري للبحث(نحو النص ـ العلاقات النصية)

مفهوم نحو النص:

مصطلح نحو النص من المصطلحات اللسانية الحديثة، ويهدف هذا المصطلح إلى الدراسة اللغوية للأبنية النصية، وكذلك هو تحليل المظاهر المتنوعة لجميع أشكال التواصل النصي، وثمة مصطلحات أخرى في تحقيق الهدف نفسه هي: (علم النص)، و(علم اللغة النصي)، و(نظرية

(١) علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام أحمد (ص٦).

النص)، ولكن مصطلح (نحو النص) أكثر قربًا من تحقيق الهدف، وتوضيح صور التماسك والترابط النصي(١).

وقد احتل تعريف النص مساحة كبيرة عند المهتمين بلسانيات النص، فتعددت تعريفاته وتنوعت، فبعضها تعتمد على مكوناته التركيبية وتتابعها، وبعضها تعتمد على تتابع الجمل وترابطها، وبعضها تعتمد على السياق النصي، ومن أهم تلك التعريفات ما يأتي:

عُرِّفَ أنه: "عبارة عن مجموعة من الكلمات والجمل التي تشكل في البداية ما يسمى عند (أندريه مارتينيه) بالتفصيل أو التلفظ المزدوج"(٢).

وقد أشار (هاليداي) ورقية حسن(٣) إلى أن كلمة نص تستخدم في علم اللغويات لتشير إلى أي فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها، شريطة أن تكون وحدة متكاملة. ويظهر واضحًا هذا التركيز على أن النص يتضمن المكتوب والمنطوق، على أن يكون وحدة متكاملة دون تحديد حجمه طولاً وقصرًا.

ويعرف سعد مصلوح النص بقوله: "أما النص فليس إلا سلسلة من الجمل، كلٌّ منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل أو لنماذج الجمل الداخلة في تشكيله"(٤).

وتعريف مصلوح هنا يعتمد على التسلسل والتتابع لجمل النص، ويعرف الزناد النص أنه: "نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، هذه الخيوط تجمعُ عناصره المختلفة والمتباعدة في كلٍّ واحد، هو ما نطلق عليه مصطلح نص(٥)، أي: إن النص يتكون عبر سلسلة من الجمل، تربط بينها علاقات دلالية تُدرك بالذهن.

وقد ذهب محمد حماسة عبد اللطيف إلى أن النص "لا يمكن أن يصبح نصًّا إلا إذا كان رسالة لغوية تشغل حيزًا معينًا، فيها جدلية محكمة مضفورة من المفردات والبنية النحوية، وهذه الجدلية المضفورة تؤلف سياقًا خاصًّا بالنص نفسه ينبث في المرسلة اللغوية كلها"(٦)، أي: يشترط في النص -كي يطلق عليه نصًا- أن يؤدي رسالة معينة، تتداخل فيها علاقات شكلية ودلالية، وهذه العلاقات هي التي تؤلف سياقًا خاصًّا بالنص.

ويشير أحمد عفيفي إلى أنه "ينبغي أن يكون المفهوم الأساس لأي نص وسيلةً لنقل الأفكار والمفاهيم إلى الآخرين، فهو ينقل شيئًا ما إلى المخاطب، وهو ليس هدفًا في حد ذاته، إنما هو طريق للخطاب"(٧)، أي: إن النص مجرد اتصال، وليس شيئًا غيره.

ويرى (دي بوجراند) أننا "لا نستطيع تناول النص من خلال وصفه بأنه ذو وحدات كبرى أو جمل متوالية، إلا إذا وجدت خاصيته الأولى، وهو كونه واردًا في الاتصال(٨)، فالهدف الأساس في النص عند (دي بوجراند) هو تناول النص كونه سمة أساسية في عملية الاتصال، وقد تابعه في ذلك (شميت) عند تعريفه للنص بقوله: "حد النص هو كل تكوين لغوي منطوق من حدث اتصالي في إطار عملية اتصالية مُحددة من جهة المضمون، ويؤدي وظيفة اتصالية يمكن إيضاحها، أي: يحقق إمكانية قدرة إنجازية جلية"(٩).

ونلاحظ في التعريفات السابقة للنص أن كل تعريف يركز على جانب واحد، ويسقط جوانب أخرى، فمنهم من قال: إنه مجرد لغة، ومنهم من قال: مجرد اتصال، ومنهم من قال: مجرد كتابة،

---

(١) البنية النصية لقصة موسى (عليه السلام) في القرآن الكريم، رضوانة حبيب (ص١٦١).
(٢) لسانيات المقاطع والمتواليات النصية، د. جميل حمداوي (ص٢٩).
(٣) نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي (ص٢٢).
(٤) من نحو الجملة إلى نحو النص، سعد مصلوح (ص٤٠٧).
(٥) نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصًا، الأزهر الزناد (ص١٢).
(٦) منهج في التحليل النصي للقصيدة، محمد حماسة (ص٢١٣).
(٧) نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي (ص٢٠).
(٨) النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، تمام حسان (ص٦٤).
(٩) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري (ص٨١).

ومنهم من قال: إنه تتابع لجمل مترابطة عبر سياقات مختلفة، والحقيقة أن علينا -كما يقول صلاح فضل- "أن نتبنى موقفًا آخر يقيم تصورًا للنص من جملة المقولات التي قدمت له في البحوث البنيوية والسيميولوجية الحديثة، دون الاكتفاء بالتحديدات اللغوية البحتة. ولعل تعريف (كريستيفا) للنص يكون أكثر تمثلاً لهذه المقاربات، فهي تشير إلى أنه جهاز عبر لغوي، يعيد توزيع نظام اللغة، وذلك بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية، مشيرًا إلى بيانات مباشرة تربطها أنماط مختلفة من الأقوال السابقة عليها والمتزامنة معها"(١)(صلاح فضل ٢٠٠٢، ٦١ ــ ٦٢، وفريد الزاهي،١٩٩١، ٢١)، والمقصود من هذا التعريف: أن النص "هو أكثر من خطاب؛ لأنه يفيد توزيع نظام اللغة، كاشفًا في الأساس عن العلاقة التي بين الكلمات وبين الملفوظات السابقة عليه، وهذا يعني أن النص لم يعد خاضعًا لمثالية المعنى، وإنما هو يخضع لمادية (لغة الدال) الذي ينتج آثار المعنى"(٢).

العلاقات النصية:

العلاقة في اللغة: العين واللام والقاف أصل كبير صحيح يرجع إلى معنى واحد، وهو أن يُناط الشيء بالشيء العالي، تقول: عَلِقَ بالشيء عَلْقَاً وعَلَقَه: نَشَبَ فيه، والعَلْق النشوب في الشيء، والإعْلاق: وقوع الصيد في الحبل، يقال: نصبَ له فأعلقه وعَلِقَ الشيء عَلْقَاً وعَلِقَ به علاقة وعلوقاً: لزمه(٣).

والعلاقات النصية هي الأدوات والروابط التي تربط بين أجزاء النص، فبنية النص تتكون من سلسلة من الجمل، بين هذه الجمل علاقات تربط بينها بوصفها العناصر المباشرة لبنية النص، وتحدث الترابط الداخلي والتماسك الدلالي للنص، فلا يتسم النص بالتماسك والترابط إلا من خلال العلاقات النصية.

والدراسات النصية تراعي كل الجوانب التي يلزم توافرها في النص كي يعد نصاً، ودراسة النص عند النصيين بمعزل عن مقاميه المقالي والدلالي ومضمونه وتاريخه، لم تعد طريقة مرضية عند كثير منهم، إذ وجدوا أن إهمال ما يحيط بالنص نفسياً واجتماعياً وتداولياً والاقتصار على بحث ما يكون به الملفوظ نصاً يحرم الباحث من الوقوف على الخواص النصية المميزة للنص ويمنعه من توظيف معرفته بالعالم واستخدام أدواتها في الكشف عن درجات التماسك النصي(٤).

وقد اقترح (ديبو جراند ودريسلر) سبعة معايير أو علاقات للنصية، هي: (السبك والحبك والقصدية والمقبولية والموقفية والإعلامية والتناص).

لقد انطلق نحو النص من فكرة أن النص هو الموضوع الأساس لتحليل الخطاب، ويجب تجاوز حدود الجملة إلى فضاء النص، وترجع نشأة نحو النص إلى بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، إذ قدم (هاريس) في عام (١٩٥٢م) منهجاً لتحليل الخطاب، استخدم فيه إجراءات اللسانيات الوصفية، بهدف اكتشاف بنية النص.

وعليه فقد تناول الباحث في هذا البحث العلاقات الآتية: (الوصل، الإحالة، الحذف، التكرار، الإعلامية، البيان والتفسير).

أولاً: علاقة الوصل اللفظي:

الوصل في لسانيات النص أحد أدوات الربط النصي التي تؤدي إلى التماسك النصي من جهتي (الشكل والدلالة)، فتجعل من النص وسيلة لجعل الخطاب أكثر اتساقًا وانسجامًا على مستوى الجمل والوحدات النصية أيضًا، فيبرز التماسك الدلالي الذي يخلقه في بنية النص العامة، ويذكر

(١) مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل (ص٦١-٦٢)، علم النص، جوليا كريستيفا، فريد الزاهي (ص٢١).

(٢) النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل (ص١٩-٢٠).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (تـ: ٣٩٥هـ)، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ١٢٥/٤، مادة علق، ولسان العرب: ١٠/ ٢٦١، مادة علق.

(٤) ينظر: التحليل اللساني النصي (دراسة تطبيقية على سورة مريم): ألطاف الشامي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة تعز، اليمن، ٢٠٠٩، ص: ٣١.

(دي بوجراند) أن الوصل: "يشير إلى العلاقات التي بين مساحات المعلومات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات، (...) ويشير الربط أيضًا إلى إمكان اجتماع العناصر والصور، وتعلق بعضها ببعض في عالم النص"(١). وقد استعمل (هاليداي ورقية حسن) لهذه العلاقات مصطلح الوصل، حيث أفرد الباحثان الفصل الخامس من كتابهما لدراسة الوصل وأنواعه(٢). ويقصدان به: الطريقة التي تجعل أجزاء النص متماسكة فيما بينها؛ لتحقق علاقة اتساق النص.

وإذا رجعنا إلى تراثنا العربي، فسنجد أن العلماء العرب تحدثوا عن تلك العلاقات في أبواب النحو والبلاغة، لكن بمفاهيم مختلفة، ومن تلك المفاهيم: مفهوم العطف، الذي حظي باهتمام بالغ عند النحويين القدامى، فيعطف الاسم على الاسم، والجملة على الجملة، بأحد حروف العطف التي هي: (الواو، الفاء، أو، ثم، أم، بل، لكن، لا، إما، حتى). وتناول علماء البلاغة موضوع العطف في باب الفصل والوصل، وليس المراد بالفصل ترك العطف، بل هو اسم لكل ما يميز بين المعاني التي لا يتعلق بعضها ببعض، سواء أكان ذلك بالوقوف من المتكلم، أم السكوت عند تمام المعنى، أم باستخدام كلمات عُرفت باسم الفصل، مثل: (أما بعد، وهذا، وذلك)(٣). أما الوصل فيدل على الصلة الوثيقة في المعنى بين الأول والثاني، ويشير إلى شدة التعلق بينهما.

مما سبق يتضح لنا كيف أدرك علماؤنا العرب أهمية الوصل في تحقيق التماسك على مستوى الجملة الواحدة، وعلى مستوى النص.

وقد أولى علماء النص دور الوصل اللفظي في تحقيق تماسك النص اهتمامًا كبيرًا، فقد ورد الوصل أو العطف ضمن الأدوات التي تحقق اتساق النص، وتتمثل الوظائف التي يؤديها الوصل في الربط إلى جانب الاختزال والاختصار، وهما تمثلان أهم وظائف هذه الأدوات، أما باقي الأدوات فلكل منها دلالة معينة تتحدد من التراكيب التي ترد فيها. وعندما نتأمل النص القرآني ندرك مدى فاعلية أدوات الوصل في جعل النص يتسم بالإيجاز والتماسك؛ ونظرًا لأن حروف الوصل أو العطف تكتسب دلالتها عن طريق السياق الذي ترد فيه هذه الحروف، كان طبيعيًا أن توجد علاقة بين المتعاطفين، وهذا ما سيتم إيضاحه في المبحث التطبيقي من هذا البحث.

ثانياً: علاقة الإحالة:

علاقة الإحالة من العلاقات النصية التي تسهم في بناء النص والربط بين أجزائه ربطًا لفظيًّا ومعنويًّا، أي: إنها تقوم في الربط النصي بأداء وظيفتين: الأولى نحوية، وتتمثل في الترابط والالتحام اللفظي، والثانية: دلالية، وتتمثل في الترابط والالتحام الدلالي، "فتربط النص بما هو خارجه، وتربط المتتاليات الجملية ببعضها، فتربط السابق باللاحق، واللاحق بما سبقه، وتعد مظهرًا من مظاهر اتساق النص وانسجامه، وورودها ضمن العناصر المؤثرة في تماسك النص يشكل دورًا بارزًا في تحقيق ما يسمى بالنصية"(٤).

وقد أولى النصيون الإحالة عناية كبيرة، ومن أهم تعريفاتها: ما ذكره (دي بوجراند) بقوله: "يتم تعريف الإحالة عادة أنها: العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات"(٥)، أي: إنها تربط بين النصوص والمقام الخارجي، وعرفها (جونز) في سياق حديثه عن الإحالة التقليدية بقوله -نقلاً عن يول وبراون-: " إنها العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات"(٦)، وعرفها أحمد عفيفي بقوله: "إن الإحالة علاقة معنوية بين ألفاظ

(١) النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، تمام حسان (ص٣٤٦).
(٢) الإحالة، دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب هاليداي ورقية حسن، شريفة بلحوت (ص٦٠).
(٣) الإعجاز في نسق القرآن دراسة للفصل والوصل بين المفردات، محمد الأمين الخضري (ص١٠).
(٤) التحليل اللساني النصي: دراسة تطبيقية على سورة مريم، ألطاف الشامي (ص١١٥).
(٥) النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، تمام حسان (ص١٧٢).
(٦) تحليل الخطاب، يول وبراون، محمد الزليطني، ومنير التريكي (ص٣٦).

معينة وما تشير إليه من أشياء أو معان أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق، أو يدل عليها المقام(١).

وقد ذكر الزناد أن تسمية العناصر الإحالية "تطلق على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر، وهي لذلك تتميز بالإحالة على المدى البعيد"(٢).

والإحالة من منظور (هاليداي ورقية حسن): مجموعة من العناصر لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، بل تحتاج إلى مرجع كالضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة؛ من أجل تأويلها، فهذه العناصر تحيل على عناصر أخرى مذكورة في أجزاء النص، والعناصر الإحالية ــ في رأيهما ــ هي الأدوات التي تحيل داخل النص، ونعتمد في فهمنا لها على إسنادها إلى شيء آخر(٣).

وتنقسم الإحالة إلى قسمين:

١ــ إحالة داخلية، أي: داخل النص، وتسمى النصية، وتسهم مباشرة في تحقيق اتساق النص؛ لأنها تحيل داخل النص، وهي تنقسم إلى قسمين:

أــ إحالة قبلية: وهي تعود على عنصر سابق، سبق ذكره، وهي أكثر الأنواع شيوعًا في الكلام.

ب ــ إحالة بعدية: وهي تعود على عنصر مذكور بعدها.

٢ ــ إحالة خارجية، أي: خارج النص، وتسمى المقامية.

وسائل الإحالة: اجتمعت آراء النصيين على ثلاث وسائل للإحالة، هي: (الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة).

تكتسب الوسائل السابقة أهميتها؛ لأنها تنوب عن الأسماء والأفعال والجمل المتتالية، إلا أن هذه الأهمية تجاوز مستوى النيابة؛ لكونها تقوم بالربط بين أجزاء النص، من حيث الشكل والدلالة، داخل النص وخارجه(٤)، وتعد ظاهرة الإضمار من العلاقات التي تضمن للنص نصيته، "فالإضمار يكفل -تبعًا لقول (هارفج)- اتساق سياق النص، أي: إن أشكال التسلسل الضميري تلك -حسب فكرته الجوهرية- هي الوسيلة الحاسمة لتشكيل النص، ومن ثم يعرف النص أنه: تتابع لوحدات لغوية يشكله تسلسل ضميري متصل"(٥). وللضمير خصائص، من أهمها: الإبهام والانتقال والتعريف، ويرتبط بالإبهام عدم الوضوح ونقصان الدلالة، والافتقار إلى موضح أو مفسر أو مبين للضمير بما يعود عليه من اسم مظهر(٦).

وقد تعددت إسهامات علماء النص وتنوعت بخصوص أهمية الضمائر في تحقيق التماسك النصي شكلاً ودلالة، ومن ثم أكد النصيون أن الضمير على قدر من الأهمية والفاعلية؛ لكونه يحيل إلى عناصر سابقة عليه، بمعنى سبق التلفظ بها في النص. ومن إسهاماتهم في تحليلاتهم النصية أيضًا تأكيدهم على دور السياق في معرفة مرجعية الضمير، خاصة إذا كانت مرجعيته غامضة أو خارجية (مقامية).

ثالثاً: التكرار:

يعد التكرار ظاهرة لغوية، وهي من العلاقات والأدوات التي تعمل على اتساق النص؛ فيتحقق التماسك بين أجزاء النص، والتكرار فيه إحالة قبلية تتحقق بالرجوع إلى سابق في النص بتكراره

---

(١) الإحالة في نحو النص "دراسة في الدلالة والوظيفة العربية بين الجملة ونحو النص"، كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية (٢/ ٥٢٧).

(٢) نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصًا، الأزهر الزناد (ص١١٨).

(٣) لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي (ص١٨).

(٤) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي (١/ ١٣٧).

(٥) مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانج هاينه مان دبتر فيهفجر، سعيد حسن بحيري (ص٢٣).

(٦) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري (ص١١٢).

مرة أخرى، وقد أطلق محمد خطابي عليه اسم "الاتساق المعجمي"(١). ويرى صبحي إبراهيم الفقي أنه إعادة أو استرجاع للألفاظ أو الجمل أو الفقرات، ويتم ذلك باستحضار اللفظ نفسه، أو بمرادف له؛ بهدف تحقيق التماسك النصي بين أجزاء النص(٢). ويتحقق التكرار على مستويات متعددة، كتكرار الحروف، والكلمات، والعبارات، والجمل، والفقرات، والقصص(٣).

رابعاً: الحذف:

يعد الحذف واحدًا من العوامل التي يتحقق بها التماسك النصي، وأحد عناصر التماسك النحوي للنص، وهو كثير الوقوع في اللغة، ويتباين كثيرًا في تلويناته وأصنافه، وقد وصفه عبد القاهر الجرجاني أنه: "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تبن"(٤). وأضاف الجرجاني أن للحذف استحسانًا واستئناسًا للنفس، إذ يقول: "إنه ما من اسم أو فعل قد حذف ثم أصيب به موضعه وحذف في الحال التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النطق به"(٥). وظاهرة الحذف ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية، وتعد أداة مهمة في التحليل الوصفي والتحليل الوظيفي للغة؛ لأن تعيين المحذوف وتقديره يسهم في إيضاح الخواص التركيبية والنحوية للنص اللغوي، كما يعد أحد أساليب التأويل النحوي التي استخدمها النحاة في تسويغ الاختلاف بين نصوص اللغة، وتعمل هذه الظاهرة على إثراء الإيحاء وتقويته، وتنشيط خيال المتلقي لتأويل الجوانب المضمرة، كما أنها تعمل على اتساق النص وترابط أجزائه وتماسكها(٦)، وقد عرف (دي بوجراند) الحذف بقوله: "هو استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة(٧)، وتلعب علاقة الحذف في سياق النص دورًا بارزًا من خلال الربط بين النص والمقام، ويأتي هذا الدور من فهم السياق وتأويل المتلقي، "فإذا كان الحذف على مستوى الجملة يراعي القرائن المعنوية والمقالية، فلا شك أن نحو النص أكثر اعتمادًا على ذلك؛ لأنه يدخل السياق والمقام من أساسيات الحذف، حيث تكون الجمل المحذوفة أساسًا للربط بين أجزاء النص من خلال المحتوى الدلالي"(٨). وللمخاطب دورٌ مهم في تعامله مع ظاهرة الحذف عند قيامه بتحليل النص، وذلك عن طريق ما يحمله من خبرات وتراكم معرفي لاستكمال العناصر المحذوفة في النص، وتبيان مواقعها وقيامها بالوظيفة البلاغية والنصية(٩)، وهناك نوعان من الحذف(١٠): الأول: حذف مرجعيته مرجعية داخلية، وفي هذا النوع لا بد من وجود دليل مذكور يسهم في تقدير المحذوف. والثاني: حذف مرجعيته مرجعية خارجية، وهذا النوع يعتمد على سياق الحال الذي يمدنا بالمعلومات التي تسهم في تفسير المثال. والحذف بنوعيه يسهم في التماسك أو الترابط النصي بين الوحدات.

---

(١) لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي (ص٢٤).
(٢) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي (٢/ ٢٠).
(٣) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي (٢/ ١٧).
(٤) دلائل الإعجاز، الجرجاني (ص١٤٦).
(٥) دلائل الإعجاز، الجرجاني (ص١٥٢-١٥٣).
(٦) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة (ص٩).
(٧) النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، تمام حسان (ص٣٠١).
(٨) نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي (ص١٢٥).
(٩) من مظاهر التماسك النصي في القصص القرآني (الحذف في سورة يوسف نموذجًا)، زيد العامري، وهشام اليوسف (ص١٧١).
(١٠) من مظاهر التماسك النصي في القصص القرآني (الحذف في سورة يوسف نموذجًا)، زيد العامري، وهشام اليوسف (ص١٧٢).

خامساً: علاقة الإعلامية:

الإعلامية هي أحد المعايير النصية التي حددها (ديبو جراند ودريسلر)، وأطلق عليها بعض الباحثين العرب (الإخبارية)، وبعضهم (المعلوماتية)، أي المعلومات التي نحصل عليها من النص، وموضوعها مدى التوقع الذي تحظى به وقائع النص المعروض في مقابل عدم التوقع، أو المعلوم في مقابل المجهول(١)، وترتبط بإنتاج النص واستقباله لدى المتلقي ومدى توقعه لعناصره ، وقد عرف (ديبو جراند) الإعلامية أنها: " العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم نصي في مقابلة البدائل الممكنة. فالإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال. ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم الوقائع"(٢)، بمعنى أنه كلما كان النص غير متوقع، كانت كفاءته الإعلامية أعلى؛ لأنها تعطي المتلقي الفرصة ليتفاعل مع النص، أما النص الذي يقتصر على الإخبار والدعاية فقط تكون كفاءته الإعلامية منخفضة.

والإعلامية تعني الإخبار، وتهتم بعناصر مفاجئة وغير متوقعة في النصوص، فعند التمعن في نصوص القرآن الكريم، نجد أن بعض آياته حافلة بمعلومات وتنبؤات ومفاجآت لا يمكن الوصول إليها إلا بعد تمعن وتدبر.

مراتب الإعلامية: حدد علماء لسانيات النص ثلاث مراتب لمصطلح الإعلامية(٣):

أولاً: إعلامية من الدرجة الأولى: وتقدم خبراً ما، فتكون متوقعة بشكل يقيني، فلا تحظى باهتمام المتلقي، إذ لا يجد فيها ما يتسم بالجدة، ولا تحتاج إلى انتباه شديد لفهم وقائعها.

ثانياً: إعلامية من الدرجة الثانية: تتسم بالجدة وعدم التوقع، إذ يجد المتلقي في النص أدلة تخالف اختياره، فيصبح للوقائع درجة من الغموض تحتاج إلى إعمال الفكر للترجيح بين الاختيارات.

ثالثاً: إعلامية من الدرجة الثالثة: تكون الإعلامية من الدرجة الثالثة عندما تكون الوقائع خارجة بعض الشيء على قائمة الخيارات المحتملة.

سادساً: علاقة البيان والتفسير:

تعد علاقة البيان والتفسير من العلاقات الدلالية التي تربط بين الجمل داخل النص من ذات نفسها بدون رابط لفظي، فتعمل من خلال هذا التماسك والترابط على التئام النص والتحامه، بحيث تكون الجملة التالية مفسرة للجملة السابقة، ويطلق على الجملة التالية اسم: الجملة التفسيرية(٤)، وقد اهتم البيانيون والمفسرون بإبراز هذه العلاقة في كتبهم، فجاء تناولهم للظاهرة على نوعين: النوع الأول (البيان) ويتصل بالكلمات، والثاني (التفسير) ويتصل بالجمل، ففي النوع الأول يأتي فيه اللاحق بياناً لكلمة سابقة، وفي الثاني بياناً لجملة، والذي يهمنا في هذه الدراسة هو النوع الثاني الذي يتصل بالجمل، أي أن تكون هذه العلاقة قائمة بين جملتين.

المبحث الثاني: الإطار الإجرائي للدراسة

بعد أن فرغنا من الحديث عن الجانب النظري للبحث في المبحث الأول، نحاول في هذا المبحث أن نتعرض بالتحليل النصي للعلاقات السابقة على النحو الآتي:

أولاً: الوصل اللفظي:

سنعرض بالتحليل الدور الوظيفي والأسلوبي الذي قامت به عناصر علاقة الوصل اللفظي في سياق الحوارات في سياق نص سورة هود، وقد بدأ السياق بقصة نوح (عليه السلام) وحواره مع قومه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ(٢٥) أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ [هود: ٢٥-٢٦]، (فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا

(١) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص (تطبيقات لنظرية ديبو جراند ودريسلر): ٣٢.
(٢) النص والخطاب والإجراء: ١٠٥.
(٣) ينظر: المرجع نفسه: ٢٣ ــ ٢٦، و ٢٥٣ ــ ٢٥٧.
(٤) ينظر: العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم: ٢٤٢.

بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ) [هود: ٢٧]، حدث التماسك بين جملة الإرسال وما تشتمل عليه وبين قول الملأ من قوم نوح، إذ عطف قول الملأ من قومه بالفاء على فعل (أرسلنا) للإشارة إلى أنهم بادروه بالتكذيب والمجادلة الباطلة لما قال لهم: إني لكم نذير مبين. كما حدث التماسك النصي بين (بينة، أتاني، فعميت) في الآية ٢٨، حيث عطف (عميت) بفاء التعقيب إيماء إلى عدم الفترة بين إيتائه البينة والرحمة وبين خفائها عليهم، وهو تعريض لهم بأنهم بادروا بالإنكار قبل التأمل. كما حدث التماسك بالواو والفاء بين الجمل الآتية: (وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩) وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣٠) وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٣١) قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ) [هود: ٢٩-٣٣]، لقد تم الربط بين جمل هذه المحاورة بالواو والفاء، وقد أفاد الربط بالواو الجمع بين الأحداث، وأفاد العطف بالفاء التفاوت الرتبي، والذي بدوره جعل المعطوف أشد وأقوى، فدخولها يشير إلى التدرج والارتقاء، فهي التي تجسد صبر نوح (عليه السلام) وإصراره على مواصلة الدعوة، وليس إكثار الجدال شيئًا آخر غير ما عطف عليه، بل هو جدال واحد، تتابع وتزايد، حتى ضاق قومه ذرعًا بتماديه على الدعوة وإلحاحه فيها، قبل أن يضيق هو باستمرارهم على الكفر والعناد(١)، فسبب ذلك العطف هو تماديه في الجدال. ويتجلى بوضوح في هذه المحاورة دورُ العطف في إبراز المعاني النفسية عند طرفي المحاورة، والمتمثلة في ضيق القوم وعدم تحملهم لتمادي نوح في الدعوة وصبره (عليه السلام)، ورغبته في مواصلتها؛ لذلك نجده -بعد أن سمع منهم هذا الإعلان- تغير أسلوبه معهم في المحاورة، وقد بدأ هذا التدرج النفسي واضحًا، إذ كان خطابه مع قومه مصحوبًا بلفظ (يا قوم)، وعندما فهم منهم أنهم لم يغيروا موقفهم، بدأ يظهر من كلامه أنه يريد أن ينسلخ منهم من الناحية النفسية، فجاء كلامه بعد هذا الإعلان مجردًا من لفظة (يا قوم) التي وردت في سياق المحاورة قبل هذا الإعلان، هكذا جاءت: (قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [هود: ٣٣-٣٤]، هكذا نلتمس السياق النفسي عند نوح (عليه السلام) بدأ ينسلخ منهم تدريجيًّا بعد أن لمس من حديثهم اليأس، وقد أخبره الله بما لمسه منهم صراحة، قال تعالى: (وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ) [هود: ٣٦]. وهكذا يطلعنا الحوار على المراحل النفسية التي يمرّ بها المحاور مع خصومه(٢).

ومن ذلك ما ورد في حوار صالح (عليه السلام) مع قومه، قال تعالى: (قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٣) وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ) [هود: ٦٣-٦٤]. نلاحظ في سياق الحوار السابق أنه تم الربط بين أجزاء الجمل بالواو التي تفيد الجمع، وبـ(ثم) التي تفيد الترتيب مع التعقيب الزمني، أي: يكون الاستغفار أولاً ثم تأتي التوبة بعد الاستغفار، وقد تم تكرار الربط بالفاء في هذا السياق عدة مرات، وتكرارها هنا يفيد ترتيب المعاني طِبقًا لقصد المتكلم مع إفادة التعقيب الزمني. فكما يتم الوصل اللفظي بالواو، يتم أيضًا بالفاء، والفاء العاطفة تؤدي دورها في ترتيب المعاني طبقًا لقصد المتكلم أو مراعاة لحال مخاطبه وحركة فكره في تصوره للمعاني وربطه بينها. وقد استعمل نبي الله صالح هذا الرابط بعد العرض الذي سبق ذكره في سياق المحاورة، حيث اقترن هذا الرابط بجواب الشرط (فيأخذكم)، وقد أفادت التعقيب الذهني، فربطت بين تحقق معنى الجمل الواقعة قبلها وبين وقوع

(١) ينظر: من أسرار حروف العطف، الخضري (ص٤٣-٤٤).
(٢) ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية، الجيوسي (ص٤٤٤-٤٤٥).

العذاب، بمعنى أن الربط بالفاء جاء في جواب النهي؛ للإخبار بتحقيق العذاب وتأكيدًا على استحقاقهم ذلك العذاب، في حالة تم مس الناقة بسوء. وسياق المحاورة يبرز لنا ملحظًا نفسيًّا بديعًا، ففي افتتاح صالح (عليه السلام) محاورة قومه بالنداء وإضافة المنادى إليه (يا قومي) يحمل دلالة الرفق بالقول، فهم قومه، ودلالة النصح يكون لها قبول في نفس المخاطب، فالنداء يُعد من الأساليب التي اتبعها القرآن الكريم لتحقيق أعلى درجات التفاعل بين المرسل والمتلقي في عملية التواصل، فهو أحد أبرز مظاهر اللغة الانفعالية؛ نظرًا لما في أدواته من المحفزات الناتجة عن الانفعال، والمؤدية للوظيفة الانتباهية عند المخاطب، فإضافة إلى ما يحمله النداء من دلالة النصح والإرشاد يحمل أيضًا اللين في إلقاء الخطاب، وبهذا اللين يُظهر المتكلمُ للمخاطب أن له من سداد الرأي ما يتقبل به الحق(١).

ثانيًا: علاقة الإحالة:

ويمكن إبراز الوظيفة اللغوية والأسلوبية لعلاقة الإحالة من خلال تناول بعض الحوارات التي وردت في السورة على النحو الآتي:

١- حوار نبي الله نوح (عليه السلام) مع ابنه، قال تعالى: (وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ) [هود: ٤٢]. نلاحظ أن ضمير الجماعة (نا) في قوله: (معنا) يعود على سيدنا نوح (عليه السلام)، ومن كان معه في السفينة قبل جريانها، فنوح ومن معه خارج النص، وقد أحال الضمير عليهما، فهي إحالة خارجية، وجملة (يا بني)، معطوفة على قوله: (اركبوا فيها) ومتعلقة بها، ونداؤه ابنه كان قبل جريان السفينة، ونوح ومن معه مستقرون في جوفها، أما ابنه فكان في حالة انفراد وعزلة عن المؤمنين، والضمير الإحالي يصرح بموقع كل من المتحاورين، فكان لهذا العنصر في سياق النداء أثر واضح في توليد الدلالات النفسية، فهو نداء يوحي بالإرشاد والرفق والشفقة، يدل على ذلك تصغير (ابن)، فتصغيره هنا تصغير شفقة، بحيث يجعله كالصغير في كونه محل الرحمة والشفقة، "إن هذا التركيب القرآني الذي جمع بين النداء والبنوّة وتصغيرها، وأتبعها بالأمر والنهي متعاطفين، يعكس جَيَشانَ عاطفة الوالد الرؤوف في هذا المشهد الرهيب تجاه ابنه الضال، وكأن المشهد حاضر شاخص؛ إذ نرى نوحًا (عليه السلام) يُرسل النداء تلو النداء لابنه، عساه يركب معهم ولا يغرق مع الكافرين، فالوالد الملهوف ينادي وينادي، والولد العاق يأبى الإجابة ويرفض النصح.

ومن الملاحظ أن التعبير القرآني لم يقل: (وقال نوح: يا بُني اركب معنا)، وإنما قال: (ونادى نوح ابنه) بذكر لفظ النداء أولاً، ثم حكاية قوله في النداء ثانيًا: (يا بُني اركب معنا)، وعلى الرغم من أن في النداء الأخير ما يغني عن الأول، إلا أن الجمع بينهما في سياق واحد يدل على زيادة هيجان العاطفة، وعلى شدة الوله في قلب الوالد الرؤوف"(٢)، وقد استعمل السياق القرآني أداة النداء (يا) التي تحمل دلالة نداء البعيد؛ لأن ابن نوح كان بعيدًا عنه بعدًا ماديًّا يتمثل بالمعزل الذي أشار إليه السياق بالأمواج المتلاطمة التي تشبه الجبال، وبعيدًا بعدًا نفسيًّا؛ لأنه كان كافرًا، ونفس المؤمن لا تلتقي مع نفس الكافر(٣).

وفي سياق بنية الحوار الندائي ملاحظة أخرى: هي أن الأب الملهوف على ابنه لما دعاه بقوله: (يا بُني) الدال على التحبب والتلطف، وأجابه الابن المغرور بأنه سوف يلجأ إلى جبل يعصمه من الماء، لم يقل: (يا أبتِ سآوي إلى جبل يعصمني من الماء)، وهو المتوقع في مثل هذه المحاورات، مما يدلّ على تجافي الابن العاق وخلو قلبه من دفء العاطفة، بل يدل على عدم استعداده لنداء أبيه بالصلة القوية التي تربط الولد بوالده، أما المخاطب في هذه المحاورة فرغم ما

(١) ينظر: لغة الحوار في القرآن الكريم، فوز سهيل كامل (ص٣٠٣).
(٢) الدلالة النفسية في القرآن الكريم (مقاربة في سيمياء التواصل)، حيدر فاضل عباس (ص٢٠).
(٣) ينظر: الدلالة النفسية في القرآن الكريم (مقاربة في سيمياء التواصل)، حيدر فاضل عباس (ص٢١).

تحمل من العطف والشفقة إلا أنه مصر على عدم تصديقه بالرسالة؛ لذلك قال متهكمًا: ژ ئ ئ ئ ى ى ژ، وظن أن أرفع الجبال لا يبلغه الماء(١).

٢- حوار الملائكة مع نبي الله لوط (عليه السلام)، إذ قالوا له في هذه المحاورة: (قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ) [هود: ٨١]. العنصر الإحالي هنا هو ضمير الوصل (ما)، ويحيل إلى مجموع العذاب الذي ذكر بعد هذا السياق، والذي سيحل على قوم لوط، وقد وضح الله سبحانه وتعالى نوع ذلك العذاب بقوله: (فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ) [هود:٨٢-٨٣]، فالإحالة بضمير الوصل في السياق السابق إحالة نصية لاحقة، وقد استعمل الفعل الماضي في معنى الحال، ومقتضى الظاهر أن يقال: (ما يصيبهم)، "فاستعمال فعل المضي لتقريب زمن الماضي من الحال، أو في معنى الاستقبال تنبيهًا على تحقق وقوعه"(٢)، وقد لنا السياق في هذه المحاورة -من خلال ابتداء الخطاب بالنداء والإحالة بضمير الوصل- البعدَ النفسي عند نبي الله لوط، إذ يصور لنا السياق الخوف والقلق عند لوط، فبدأ الملائكة يعرّفون لوطًا بأنفسهم وينادونه باسمه؛ لتعجيل الطمأنينة إلى نفسه؛ لأنه إذا علم أنهم ملائكة، علم أنهم ما نزلوا إلا لإظهار الحق، وفي نسبة أنفسهم إلى رب لوط (عليه السلام) زيادةُ أنسٍ له بهم، ثم ألحقوا هذا التعريف بإخباره بنجاته (لن يصلوا إليك)، وجيء بحرف تأكيد النفي للدلالة على أنهم خاطبوه بما يزيل الشك من نفسه، بعد ذلك كشفوا له عن مصير امرأته المأساوي قبل أن يسألهم هو عنها، وبهذا فقد أجابوه عن كل ما يهمه، فلم يبق ما يشغل باله وتفكيره، وهذا ادعى إلى راحة النفس واستقرارها(٣).

٣ـــ حوار قوم صالح (عليه السلام) معه، إذ قالوا له: (قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ) [هود: ٦٢]. نلاحظ أن ضمير الوصل الإحالي (ما) في قولهم: (ما يعبد)، يحيل إلى أصنامهم التي عبدها آباؤهم ويعبدونها هم من بعدهم، وهي خارج النص، فكانت الإحالة خارجية، وقد جاء جوابهم أثناء المحاورة، وهو جواب مليء بالضلال والمكابرة وضعف الحجة، وقد افتتحوا جوابهم هذا بالنداء، لقصد التوبيخ أو الملام والتنبيه، والقرينة التي تدل على التوبيخ، هي قولهم: (قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا)، فإنه تعريض بخيبة رجائهم فيه، فهو تعنيف، أي: مرجوًّا للخير، وقد أرادوا من هذا الكلام: الإيحاء إليه بأن هذه الدعوة أفقدته مركزه لديهم وثقتهم به واعتمادهم عليه؛ ليكون ذلك حافزًا له على التراجع عنها، وانتقلوا من التوبيخ إلى الاستفهام الإنكاري، فقالوا: (أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا)، وهو بيان لجملة (قد كنت فينا مرجوًّا)، باعتبار دلالتها على التعنيف، واشتمالها على اسم الإشارة الذي تبينه أيضًا جملة: (أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا)(٤)، وقد عبروا عن أصنامهم بالموصول لما في الصلة من الدلالة على استحقاق تلك الأصنام أن يعبدوها في زعمهم؛ اقتداء بآبائهم؛ لأنهم أسوة لهم، وذلك مما يزيد الإنكار اتِّجاهًا في اعتقادهم. أما العنصر الإحالي الثاني (ما) في قولهم: (مما تدعونا)، فيحيل إلى ما جاء به من الدعوة إلى التوحيد وترك عبادة الأصنام، ونوع الإحالة هنا داخلية سابقة، فهم يشكّون في صدق أنه مرسل إليهم.

ثالثًا: علاقة الحذف:

لقد ورد الحذف كثيرًا في سياق الحوارات التي وردت في سورة هود، ومن ذلك ما يأتي:

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٢/ ٧٥-٧٧).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٢/ ١٣٣).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٢/ ١٣١)، والدلالة النفسية في القرآن الكريم (مقاربة في سيمياء التواصل)، حيدر فاضل عباس (ص١٧).

(٤) ينظر: روح المعاني، الألوسي (٦/ ٢٨٦-٢٨٧)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور (١٢/ ١٠٩-١١٠)، والحوار في القرآن الكريم (قواعده، أساليبه، معطياته)، محمد حسين فضل الله (ص٢٥٤).

١ـ حذف الفعل، قد يحذف الفعل من كلام المتحاورين لدلالات يقتضيها السياق، فينوب عن المحذوف شيء آخر، من ذلك حذف الفعل (نسلم) في حوار الملائكة مع إبراهيم، قال تعالى: (وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) [هود: ٦٩]، نلاحظ في هذا السياق أن الملائكة قد استخدموا في تحيتهم المصدر(سلامًا) لينوب عن فعله (نسلم)، وذلك لتطمين المخاطب ونزع هواجسه تجاه المتكلم، فالزائرون غرباء، وينبغي أن توضح نوازعهم وأهدافهم للمخاطب، وهذا من آداب الحوار.

وقد تحذف من سياق الحوار جملة كاملة، من ذلك حذف جواب (لو) الشرطية غير العاملة في محاورة لوط (عليه السلام) مع قومه، قال تعالى: (وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ (٧٨) قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ) [هود: ٧٨-٨٠]. نلاحظ في سياق الحوار السابق أن جواب (لو) في هذا التركيب محذوف، أي: (لو أن لي بكم قوة لالتجأت إليها)، "وإخفاء الجواب هنا يشير إلى إخفاء أمنية تجول في نفس لوط (عليه السلام)، حيث لا يستطيع أن يبديها لهم، فانظر كيف كان الحذف مشيرًا إلى هذا البعد النفسي، فهو حريص على كتمانها"(١)، فالطرف المثار هو لوط (عليه السلام)، والطرف المثير هم قومه، وسبب الإثارة ضيوف لوط (عليه السلام)، وما أثار مجيئهم من فتنة قومه التي فسدت فطرتهم، ومالوا إلى حب ممارسة الفاحشة مع الرجال، فجاؤوا يهرولون مطالبين لوطًا (عليه السلام) بتسليمهم ضيفه، فغضب لوط (عليه السلام) من قومه، وشعر بالحرج من تصرفاتهم الشاذة، وخاف على ضيوفه الذين بدوا لا حول لهم ولا قوة، واحتار أين يذهب بهم، وكيف يدفع هذا التيار الكاسح القابع وراء بابه، وسيطر عليه الإحساس بالضعف والوحدة وفقدان النصير، فنظر إلى ضيوفه بألم، وانفرجت شفتاه عن عبارة مبتورة تعكس إحساس شخصية مقهورة، تبحث عن مخرج من هذا الكرب بقوة عملية فعلية، لا بألفاظ أو حجة كلامية خطابية.

رابعًا: علاقة التكرار:

تكلمنا في الإطار النظري أن التكرار يتحقق على مستويات متعددة، كتكرار الحروف، والكلمات، والعبارات، والجمل، والفقرات، والقصص، فمن تكرار الحروف ما ورد في حوار قوم نوح معه، إذ قالوا له: (فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ) [هود: ٢٧]. نلاحظ أن المحاورة اشتملت على تكرار (ما) النافية، إذ أخذوا يلاحقونه بهذا التكرار برفضهم واستكبارهم، وقد أدت سلسلة النفي المتمثلة بـ (ما نراك) إلى إبراز تأكيدهم الوارد في نهاية مقولتهم: (بل نظنكم كاذبين). وقد أفاد العطف بالواو - بين الجمل الفعلية في سياق النفي - التنصل من دعوته إياهم، من خلال قولهم: إنه بشر، وإن الذين اتبعوه هم أراذل القوم، وليس لهم عليهم فضل. وفي قولهم (هذا) تعريض بأنهم أحق منه بالنبوة، وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم، وقد صور لنا السياق في هذا المقام ملحظًا نفسيًّا يتمثل في تكبر قوم نوح؛ إذ يرون أنهم أكابر القوم وأفضلهم.

وقد يتكرر أسلوب النداء أو الاستفهام أو الأمر في سياق المحاورة الواحدة، وذلك لدلالات عميقة وأبعاد نفسية يريدها المحاور، من ذلك ما ورد في سياق محاورة هود مع قومه، إذ قال لهم: (يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠) يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥١) وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ) [هود: ٥٠-٥٢]. نلاحظ في هذه المحاورة أن هودًا (عليه السلام) قد افتتح دعوته بنداء قومه؛ لأنه أول فعل كلامي يقوم به المحاور ليلفت انتباه المستمعين ويجذب انتباههم، إشارة إلى أهمية ما سيلقي إليهم، فالنداء في المحاورات القرآنية

(١) التعبير القرآني والدلالة النفسية، الجيوسي (ص٣٢٢).

بمثابة المدخل إلى الأفعال الكلامية الأخرى التي يأتي بعدها الهدف المقصود من الخطاب مباشرة، وقد تكررت بنية النداء في هذه المحاورة ثلاث مرات، وقد أراد هود (عليه السلام) بملاحقته لهم بهذا التكرار، ليدفعهم إلى تأمل خطابه وتنفيذ ما فيه، مظهرًا بهذا التكرار رغبته في هدايتهم، وخوفه عليهم من السير قدمًا في طريق الضلال(١). فنلاحظ هنا كيف أدّت بنية النداء وظيفتها التداولية من خلال تكرار حرف النداء والمنادى، ففي تكرار بنية النداء في سياق حوار هود مع قومه قصدٌ إلى إظهار الدلالات التي ذُكرت سابقًا.

وتتعدد مقاصد أسلوب النداء في المحاورات القرآنية تبعًا لاختلاف سياق المقام، فقد يلجأ المنادي إلى محاصرة متلقيه باسمه وصفته؛ لقصد التوبيخ والاستهجان.

خامسًا: علاقة الإعلامية:

قد تكون الإعلامية في اختيار مفردات معينة أثناء الحوار، لها دلالات ومقاصد عميقة في نفسية المحاور، وقد تكون الإعلامية على مستوى الخروج على مقتضى الظاهر، وذلك من خلال الأحداث والوقائع التي تحدث لأول وهلة خارجة بعض الشيء على قائمة الاختيارات المحتملة، فتبرز إعلامية من الدرجة الأولى، وقد تحدث الإعلامية عن طريق المقابلة بين الألفاظ، وقد تحدث في العدول الإحالي، وذلك بالانتقال أو التحول في الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر، وتبرز هذه السمة الأسلوبية في كثير من المحاورات القرآنية، مكسبة التعبير دلالات وإيماءات خاصة، فتضفي على التعبير بعدًا نفسيًّا عميقًا، ومن ذلك ما جاء في محاورة نوح مع قومه، قال تعالى: (فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ) [هود: ٢٧]. تتمثل الإعلامية في قول الملأ: (ما نرى لكم)، حيث عدلوا من خطاب المفرد (ما نراك) الذي يعود على نوح، إلى ضمير المخاطب الجمع (لكم)، والذي يعود على نوح ومن اتبعه من قومه، لأن أمرهم سواء، "وأنه لا ميزة له على سادتهم الذين يلوذ بهم أشراف القوم وأقوياؤهم، إذ الظاهر أن يقولوا: (ما نرى لك علينا من فضل)، وقد أرادوا من هذا التحول أن يشمل خطابهم الذي حمَّلوه السخط والحقد الهجومي أتباعَ نوح الذين آمنوا معه، أي: ما نرى لك ولمتبعيك. فنفوا أن يكون لنوح (عليه السلام) وأتباعه فضل على الذين لم يؤمنوا به حتى يكون نوح سيدًا لهم، ويكون أتباعه مفضلين بسيادة متبوعهم"(٢). وقد صور لنا السياق من خلال هذا العدول البعد النفسي عند طرفي الحوار، فنوح يدعوهم إلى الله وينذرهم بالعذاب، بمحبة عبّر عنها بالخوف عليهم، تمامًا كأنه يحس بالهلع؛ كون أن من يحب قد انحرف في طريق يؤدي به إلى الهلاك، لكن هم يفكرون بالمصير من خلال الوضع الاجتماعي والطبقي الذي يدعوهم إلى التحرك في نطاقه.

سادساً: علاقة البيان والتفسير:

عرفنا سابقًا أن علاقة البيان والتفسير من العلاقات النصية التي تعمل على ترابط النص دلاليًّا، وقد وردت هذه العلاقة كثيرًا في سياقات الحوارات التي اشتملت عليها سورة هود، ومن ذلك الحوار الذي دار بين نوح (عليه السلام) مع ربه سبحانه وتعالى، قال تعالى: (وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ) [هود: ٤٥-٤٦]. نلاحظ في هذه المحاورة أن جملة قول نوح (عليه السلام): (رَبِّ إِنَّ ابني مِنْ أَهْلِي) مرتبطة بجملة: (وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ) ارتباطًا دلاليًّا؛ لأنها بينت وفسرت نداء نوح لربه، وسياق المحاورة يحمل بعدًا نفسيًّا عميقًا كاشفًا الأحداث المحيطة بالنص الحواري الذي بدأه نوح (عليه السلام) بالنداء، وما يحمله النداء من إيحاء دلالي، فاستهل خطابه مع الله بـ (رب)، التي تحمل معنى الرجاء الذي يمتزج بالحيرة والألم والإلحاح الخجول، فقد كان خائفًا ملهوفًا على ولده الذي

(١) ينظر: لغة الحوار في القرآن الكريم، فوز سهيل كامل (ص٢٢٦).
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٢/ ٤٨-٤٩).

رفض أن يركب معه السفينة؛ فأصبح من المغرقين، وكان في حيرة من أمره مهمومًا، فقد وعده الله سبحانه أن ينجي أهله، فما بال ولده؟!

وفي سياق الحوار يبين الله لنوح (عليه السلام) السبب الذي جعل ابنه من المغرقين مستهلاً خطابه بمناداته (يا نوح) التي امتلأت عتابًا وتحذيرًا نلحظهما من خلال مضمون الخطاب الذي جاء بعدها (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ)، وقد استخدم ضمير الغائب في الحديث عن ابن نوح مبالغة في نبذه وتجاهله، وكأن الله يحثُّ نوحًا -من خلال هذا التغييب لشخص ابنه، والتركيز على صفته- أن ينساه ولا يألم أو يلقي بالاً لغرقه. وقد جاء بعد هذا الإيضاح تحذير حملته بنيتا النهي (فلا تسألن) ــ و(إني أعظك أن تكون من الجاهلين)، أي: (لا تكن من الجاهلين)، وقد رد نوح (عليه السلام) على نداء الله سبحانه وتعالى ببنية نداء مطابقة لندائه الأول (رب)، وقد حوت هذه البنية بعدًا نفسيًّا ودلاليًّا مختلفًا عن السابق، يتضمن هذا البعد الاعتذار والخوف والرغبة في أن يسامحه المنادى على ما في ندائه الأول من دلالات(١). ومن ذلك ما ورد في حوار نبي الله شعيب (عليه السلام) مع قومه، إذ قال لهم: (قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقٗا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ)[هود: ٨٨]. لقد ارتبطت في هذه المحاورة جملة (إن أريد إلا الإصلاح) بجملة (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ)؛ لأنها بينت وفسرت سبب ما نهاهم عنه، فإنهم ظنوا به أنه ما قصد إلا مخالفتهم وتخطئتهم، ونفوا أن يكون لهم قصد صالح فيما دعاهم إليه، فكان مقتضى إبطال ظنهم أن ينفي أنه يريد مجرد مخالفتهم، بدليل قوله: (إن أريد إلا الإصلاح)، فخطاب شعيب لقومه في هذه المحاورة جاء ردًّا على سؤالهم الاستفزازي، فقد بدؤوا بسؤال أرادوا منه إحداث الانفعال في نفس شعيب (عليه السلام) والتأثير فيه، فقالوا: (قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ) [هود: ٨٧]، وقد قدموا "الفاعل في بنية سؤالهم (صلاتك) على الجملة الفعلية (تأمرك)، لتسليط الإنكار والسخرية على ذلك المتقدم ومواجهة شعيب بهذه الدلالات؛ لأن إنكار ما تدعو إليه صلاته والسخرية منه يعني توبيخه لتمسكه بها، واستهجان هذا الأمر عليه؛ لأنه لا ينبغي له ولا يليق به؛ ولذا أنهوا سؤالهم الإنكاري بقولهم: (إنك لأنت الحليم الرشيد). إنهم يلاحقونه بصفاته الإيجابية التي تستلزم منه ترك صلاته، وذلك بالضمير المتصل ولام التوكيد والضمير المنفصل. وقد جاء جواب شعيب (عليه السلام) يحمل بعدًا نفسيًّا لطيفًا، يتمثل في النصح والإرشاد؛ فهم قومه وعشيرته، وفي سياق حواره يحذرهم على فرض احتمال أن يكون صادقًا، أي: فالحزم أن تأخذوا بهذا الاحتمال، وقد قابلت هذه المعاملة وما تحمله من دلالات النصح والخوف على قومه التهكم به والسخرية عليه تكذيبًا له فيما جاءهم به.

الخاتمة:

يمكن الإشارة إلى أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في هذا البحث، على النحو الآتي:

ــ العلاقات النصية هي مجموعة من القواعد الشكلية والمعنوية التي تربط العناصر اللغوية بتدرج تصاعدي من أصغر وحدة لغوية إلى أكبر وحدة.

ـ كان للعلاقات النصية في سياق المحاورات التي وردت في سياق نص سورة هود دور بارز وملحوظ في إبراز السياق النفسي عند طرفي الحوار.

ـ تمثل العلاقات النصية دعامة أساسية من دعائم الدرس النصي، إذ تتصل بالتماسك النصي داخل النص، وترتبط بالعناصر والروابط السطحية للنص، وتحقيق الترابط بين أجزاء النص من بدايته إلى آخره دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة.

(١) ينظر: لغة الحوار في القرآن الكريم، فوز سهيل كامل (ص٢١٩).

ــ إن الترابط من خلال هذه العلاقات هو الذي يخلق بنية النص ويحقق استمراريته بين الوحدات الدلالية داخل النص.
ــ تسهم العلاقات النصية بشكل كبير في تحديد النص، والعمل على تماسكه، من خلال ترابط الأحداث القصصية وموضوعاتها الدلالية.

أما أهم التوصيات التي يوصي بها الباحث فتكمن في الآتي:
ــ على محلل النص أن يحدد الروابط اللفظية والمعنوية على تعمل على تماسك النص وانسجامه.
ــ أن يكتشف الوظائف الدلالية التي تؤديها هذه العناصر في سياق النص.
ــ ضرورة إدراج اللسانيات النصية في الدراسات الجامعية، وتعليم الطلاب الاشتغال على آليات هذه المناهج الحديثة.

المصادر والمراجع:

الشاوش، حمد (٢٠٠١م)، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، تونس، جامعة منوبة، كلية الآداب.
الخضري، محمد الأمين، (٢٠٠٢م)، الإعجاز في نسق القرآن دراسة للفصل والوصل بين المفردات، القاهرة، مصر، مكتبة زهراء الشرق.
عبد المجيد، جميل، (١٩٩٨م)، البديع بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، القاهرة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (١٩٨٤هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، تونس، الدار التونسية للنشر.
محمد لطفي الزليطني، ترجمة: منير التريكي، (١٤١٨ه-١٩٩٧م)، تحليل الخطاب، يول وبراون، الرياض، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود.
عبد الله محمد الجيوسي، (٢٠٠٦م)، التعبير القرآني والدلالة النفسية، ط١، دار الغوثاني للدراسات القرآنية.
محمد حسين فضل الله، (١٩٩٦م)، الحوار في القرآن الكريم (قواعده، أساليبه، معطياته)، ط٥، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع.
بحيري، سعيد حسن، (٢٠٠٥م)، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، القاهرة، مصر، مكتبة الآداب.
الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي.
أبو الفضل محمود الألوسي، (١٤١٥هـ-١٩٩٤م)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، ط١، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية.
طاهر سليمان حمودة، (١٩٩٨م)، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع.
صبحي إبراهيم الفقي، (٢٠٠٠م)، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، القاهرة، مصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
حسام أحمد، القاهرة، (٢٠٠٧م)، علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، مصر، مكتبة الآداب.
علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد الزاهي، الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر، ١٩٩١م.
بحيري، سعيد حسن، خ(١٩٩٧م)، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مصر، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر.

جميل حمداوي، (٢٠٢٠م)، لسانيات المقاطع والمتواليات النصية، ط١، تطوان- المملكة المغربية، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني.
محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي.
فوز سهيل كامل نزَّال، (٢٠٠٣م)، لغة الحوار في القرآن الكريم: دراسة وظيفية أسلوبية، ط١، عمان – الأردن، دار الجوهرة.
فولفجانج هاينه مان دبتر فيهفجر، (٢٠٠٤م)، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة: سعيد حسن بحيري، القاهرة، مصر، مكتبة زهراء الشرق.
محمد الأمين الخضري، (١٩٩٣م)، من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم ط١، القاهرة، مكتبة وهبة.
صلاح فضل، (٢٠٠٢م)، مناهج النقد المعاصر، القاهرة، مصر، ميريت للنشر والمعلومات.
محمد حماسة عبد اللطيف، منهج في التحليل النصي للقصيدة، إسلام آباد - باكستان، حولية الجامعة الإسلامية العالمية.
أحمد عفيفي، (٢٠٠١م)، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.
الأزهر الزناد، (١٩٩٣م)، نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصًا، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي.
عدنان بن ذريل، (٢٠٠٠م)، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، اتحاد الكتاب العرب.
روبرت دي بوجراند، (١٩٩٨م)، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، القاهرة، مصر، عالم الكتب.
المجلات العلمية:
الإحالة في نحو النص "دراسة في الدلالة والوظيفة العربية بين الجملة ونحو النص"، كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، مصر، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٤٢٦هـ ـــ ٢٠٠٥م.
الإحالة، دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب هاليداي ورقية حسن، بلحوت، شريفة ، الجزائر، مجلة جامعة الجزائر، ٢٠٠٦م، ٢٣٢-٢٣٣.
الدلالة النفسية في القرآن الكريم (مقاربة في سيمياء التواصل)، عباس، حيدر فاضل، مجلة الأستاذ، العدد (٢١٩)، المجلد الأول، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
من مظاهر التماسك النصي في القصص القرآني (الحذف في سورة يوسف نموذجًا)، العامري، زيد شهاب؛ واليوسف، هشام سليمان، الرياض، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، مجلة الآداب، المجلد (٢٦)، العدد (٣)، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
من نحو الجملة إلى نحو النص، سعد مصلوح، الكتاب التذكاري بقسم اللغة العربية، إعداد: وديعة طه نجم وعبده بدوي، الكويت، جامعة الكويت، ١٩٩٠م.
الرسائل العلمية:
البنية النصية لقصة موسى (عليه السلام) في القرآن الكريم، كياني، رضوانة حبيب، باكستان، إسلام أباد، الجامعة الإسلامية العالمية، ٢٠٠٨م.
التحليل اللساني النصي: دراسة تطبيقية على سورة مريم، الشامي، ألطاف، رسالة دكتوراه، اليمن، كلية الآداب، جامعة تعز، ٢٠٠٩م.

Arabic References:

Al-Shawish, Hamad (٢٠٠١), The Origins of Discourse Analysis in Arabic Grammatical Theory, Foundation Towards the Text, Tunisia, Manouba University, Faculty of Arts.

A. Al-Khodari, Muhammad Al-Amin, (٢٠٠٢ AD), Miracles in the Qur'an Format: A Study of Separation and Connection between Vocabulary, Cairo, Egypt, Zahraa Al-Sharq Library.

Abdel Meguid, Jameel, (١٩٩٨), Budaiya between Arabic rhetoric and linguistic stylistics, Cairo, Egypt, Egyptian General Book Organization.

Ibn Ashour, Muhammad Al-Taher bin Muhammad, (١٩٨٤ AH), Liberation and Enlightenment, "Liberation of the Good Meaning and Enlightenment of the New Mind from the Interpretation of the Glorious Book", Tunisia, Tunisian Publishing House.

Muhammad Lutfi Al-Zlitni, translated by: Munir Al-Triki, (١٤١٨ AH-١٩٩٧ AD), Discourse Analysis, Yule and Brown, Riyadh, Saudi Arabia, King Saud University.

Abdullah Mohammed Al-Jayousi, (٢٠٠٦ AD), Quranic Expression and Psychological Semantics, ١st Edition, Dar Al-Ghouthani for Quranic Studies.

Muhammad Hussein Fadlallah, (١٩٩٦ AD), Dialogue in the Noble Qur'an (its rules, methods, data), ٥th Edition, Dar Al-Malak for Printing, Publishing and Distribution.

Beheiry, Said Hassan, (٢٠٠٥), Applied Linguistic Studies in the Relationship between Structure and Semantics, Cairo, Egypt, Library of Arts.

Al-Jurjani, Abdel Qaher, Evidence of Miracles, Cairo, Egypt, Al-Khanji Library.

Abu Al-Fadl Mahmoud Al-Alusi, (١٤١٥ AH-١٩٩٤ AD), The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Mathani, Controlled and Corrected by Ali Abdel Bari Attia, ١st Edition, Beirut - Lebanon, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Taher Suleiman Hammouda, (١٩٩٨), The Phenomenon of Deletion in the Language Lesson, University House for Printing, Publishing and Distribution.

Sobhi Ibrahim El-Feki, (٢٠٠٠), Textual Linguistics between Theory and Practice, An Applied Study on the Meccan Surahs, Cairo, Egypt, Dar Quba for Printing, Publishing and Distribution.

Hossam Ahmed, Cairo, (٢٠٠٧), Text Science: A Systematic Vision in Building the Prose Text, Egypt, Library of Arts.

The Science of Text, Julia Kristeva, translated by: Farid Ezzahi, Casablanca, Morocco, Toubkal Publishing House, ١٩٩١.

Beheiry, Said Hassan, Kh (١٩٩٧), Linguistics of the text, concepts and trends, Egypt, Librairie du Liban Publishers, Egyptian International Publishing Company.

Jamil Hamdaoui, (٢٠٢٠ AD), Linguistics of Syllables and Textual Sequences, ١st Edition, Tetouan - Kingdom of Morocco, Dar El Reef for Mohamed Printing and Electronic Publishing.

Khattabi, Linguistics of the Text: An Introduction to the Harmony of Discourse, Casablanca, Morocco, Arab Cultural Center.

Fawz Suhail Kamel Nazzal, (٢٠٠٣), The Language of Dialogue in the Noble Qur'an: A Functional and Stylistic Study, ١st Edition, Amman - Jordan, Dar Al-Jawhara.

Wolfgang Heine Mann Depter Fefjr, (٢٠٠٤), Introduction to the Linguistics of the Text, translated by: Said Hassan Beheiry, Cairo, Egypt, Muhammad Al-Amin Al- Zahraa Al-Sharq Library.

Khudari, (١٩٩٣ AD), From the secrets of the letters of kindness in the Holy Qur'an, ١st Edition, Cairo, Wahba Library.

Salah Fadl, (٢٠٠٢), Methods of Contemporary Criticism, Cairo, Egypt, Merit for Publishing and Information.

Muhammad Hamasa Abdul Latif, A Method in the Textual Analysis of the Poem, Islamabad - Pakistan, Yearbook of the International Islamic University.

Ahmed Afifi, (٢٠٠١), Towards the Text: A New Direction in the Al- Grammar Lesson, Cairo, Zahraa Al-Sharq Library.

Azhar Al-Zanad, (١٩٩٣), The Texture of the Text: An Examination of What the Verbal Is Text, Beirut, Lebanon, Arab Cultural Center.

Adnan bin Dhrel, (٢٠٠٠), Text and stylistics between theory and practice, Robert de Beaugrand, (١٩٩٨), Arab Writers Union.

Text, Discourse and Procedure, translated by: Tammam Hassan, Cairo, Egypt, World of Books.

Reference in the Text Grammar, "A Study in Arabic Semantics and Function between the Sentence and the Text", Book of the Third Conference on Arabic and Grammatical Studies, Egypt, Faculty of Dar Al-Uloom, Cairo University, ١٤٢٦ AH, ٢٠٠٥ AD.

Referral, a theoretical study with the translation of the first and second chapters of Halliday's book and the paper of Hassan, Belhout, Sharifa, Algeria, Journal of the University of Algiers, ٢٠٠٦, ٢٣٢-٢٣٣.

Psychological significance in the Noble Qur'an (An Approach to the Semiotics of Communication), Abbas, Haider Fadel, Al-Ustad Magazine, Issue (٢١٩), Volume One, University of Baghdad, College of Arts, ١٤٣٧ AH-٢٠١٦ AD.

Among the manifestations of textual coherence in the Qur'anic stories (deletion in Surat Yusuf as a model), Al-Amiri, Zaid Shehab, and

Al-Youssef, Hisham Suleiman, Riyadh, Saudi Arabia, King Saud University, Journal of Arts, Volume (٢٦), Issue (٣), ١٤٣٥ AH - ٢٠١٤ AD.
From Towards the Sentence to the Text, Saad Maslouh, Memorial Book, Department of Arabic Language, prepared by: Wadia Taha Najm and Abdo Badawi, Kuwait, Kuwait University, ١٩٩٠.